Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من أهم الأدوات الجمالية التي تحدث التناسق الفني والوحدة العضوية في بناء القصيدة عند المتنبي .

فأبو الطيب يبني قصيدته من خلال مشاهد . كل مشهد له لون خاص ولكنه يرتبط مع بقية مشاهد اللوحة بهذه الهندسة الفنية التي يملكها الفنان المقتدر وهو يرسم مشاهد لوحاته .

وتأمل معي انتقال الشاعر من جو الحزن الخانق ، إلى جو الغضب العاصف . إلى جو التأمل العميق ، إلى جو السخرية الجارحة ، في سهولة ويسر ومنطقية . ولا يمكن أن يصنع هذا إلا شاعر تمرس ببناء قصائده على طريقة اللوحات .. كل لوحة فيها مشاهد متعددة يربطها خيط واحد وجو شعوري ونفسي واحد مهما اختلفت المشاهد بين الحزن والغضب والسخرية والهجاء .

وهذا ما يجعلنا لا نحس نفرة أو فجوة ونحن نردد مع أبي الطيب ، بعد المشاهد الحزينة الدامعة التي نقلناها من قبل ، مشاهد أخرى . مثل هذا المشهد الغاضب العاصف الذي يصف فيه أبا المسك كافور بقوله :

أمسيت أَرْوَحَ مُثْرٍ خازناً ويداً ... أنا الغني وأموالي المواعيد
إني نزلت بكذابين ضيفهم ... عن القرى وعن الترحال محدود
جود الرجال من الأيدي وجودهم ... من اللسان فلا كانوا ولا الجود
ما يقبض الموت نفساً من نفوسهم ... إلا وفي يده من نتنها عود

وهذا المشهد أطول من المشهد الأول مشهد الحزن العميق . وهو منوع بين الغضب العاصف والسخرية اللاذعة مثل قوله :

ما كنت أحسبني أحيا إلى زمن ... يسيء بي فيه كلب وهو محمود

ومنها قوله :

جوعان يأكل من زادي ويمسكني ... لكي يقال عظيم القدر مقصود

وقوله :

من علم الأسود المخصي مكرمة ... أقومه البيض أم آباؤه الصيد ؟
أم أذنه في يد النخاس دامية ... أم قدره وهو بالفلسين مردود

وتزداد سخريته اللاذعة وهو يختم المشهد بهذين البيتين :

أولى اللئام كويفير بمعذرة ... في كل لؤم وبعض العذر تفنيد
وذاك أن الفحول البيض عاجزة ... عن الجميل فكيف الخصية السود